

أعماق الفكر اللاهوتي عند بولس

بولس وأهل غلاطية

الدرس
الثاني



خدمات الألفية
الثالثة

تعليمٌ كتابيٌّ. للعالم. مجاناً.

حقوق الطبع محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل أو وسيلة أو بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفية الثالثة على العنوان البريدي:
Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

اقتباسات النصوص الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندريك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

حول خدمات الألفية الثالثة

تأسست خدمات الألفية الثالثة سنة 1997، وهي مؤسسة مسيحية لا تهدف للربح ومكرسة لتقديم **تعليماً كتابياً. للعالم. مجاناً.** تلبيةً لحاجة العالم المتزايدة لتدريب مسيحيي القادة يستند إلى الكتاب المقدس، ننتج منهاجاً لاهوتياً سهل الاستخدام، مدعوماً بالتبرعات، وذو وسائل إعلامية متعددة في خمس لغات رئيسية وهي (الإنجليزية، والإسبانية، والروسية، والماندرين الصينية، والعربية). ونوزع هذا المنهاج مجاناً لمن هم في أشد الحاجة إليه، في المقام الأول على القادة المسيحيين الذين لا يستطيعون الحصول على الدراسة التقليدية، أو ليس بمقدورهم تحمل نفقاتها. تُكتب كل الدروس وتُصمّم وتُنتج في مؤسستنا، وتتشابه في الأسلوب والنوعية لما تجده على قناة التاريخ (History Channel). لقد برهنت هذه الطريقة الفريدة، والفعالة من حيث تكلفتها، لتدريب القادة المسيحيين على فاعليتها في كل العالم. وقد ربحتنا جائزة تيلي للإنتاج المتميز للفيديو في مجال التعليم واستخدام الرسوم المتحركة. يُستخدم منهاجنا اليوم في 150 دولة. وتُنتج مواد الألفية الثالثة في شكل اسطوانات مدمجة (DVD) ومطبوعات، وبث على الإنترنت، وعن طريق محطات التلفزيون الفضائية وكذلك البث الإذاعي (الراديو) والتلفزيوني.

للمزيد من المعلومات عن خدمتنا وكيف يمكنك المشاركة نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت

<http://arabic.thirdmill.org>

المحتويات

	I . المقدمة
	II . الخلفية
	أ. الرحلة التبشيرية الأولى
	ب. المشاكل
2. المعلمون الكذبة	1. تدفق الأمم
	III . المحتوى
	أ. المقدمة
	ب. تمهيد للمشكلة
	ج. وقائع تاريخية
2. لقاء مع القادة	1. دعوة وتدريب
	3. خلاف مع بطرس
	د. براهين لاهوتية
2. إيمان إبراهيم	1. الاختبار المبكر
4. زوجتا إبراهيم وابناه	3. الاختبار الحالي
	هـ. نصائح عملية
2. قوة الروح القدس	1. الحرية في المسيح
	3. الدينونة الإلهية
	IV . وجهات نظر لاهوتية
	أ. المسيح
	ب. الإنجيل
	ج. الناموس
	د. الاتحاد بالمسيح
	هـ. الروح القدس
	و. الخليقة الجديدة
	V . الخاتمة

أعماق الفكر اللاهوتي عند بولس

الدرس الثاني

بولس وأهل غلاطية

المقدمة

سمعت مرة قصة عن امرأة تزوجت باكراً في سن المراهقة. لم يمض وقت طويل حتى بدأت تفتقد إلى تسلية الطفولة المحببة. وهكذا، في يوم من الأيام بينما كان زوجها في العمل تسللت إلى ساحة بيت أهلها واختبأت في البيت التي كانت تلعب فيه قديماً. وأخيراً عندما وجدها زوجها ذلك المساء، أمسك بيديها المرتعشتين وأعادها إلى البيت بلطف. إذ أن مرحلة جديدة قد بدأت في حياتها وأن الأوان أن تتمتع بروعة وتحديات حياة البالغين مع زوجها.

في القرن الأول، معظم المسيحيين الأوائل كانوا من اليهود. لكن عندما بدأ هؤلاء اليهود باتباع المسيح، بلغوا مستوى من النضوج الروحي نتيجة حصولهم على إعلان أكبر عن الله من خلال المسيح. لكن بعد فترة وجيزة، حنّ بعض هؤلاء المسيحيين الجدد من اليهود إلى الطمأنينة والألفة اللتين عهدوهما في ممارساتهم اليهودية القديمة، ابتدأوا يضيفون إلى إيمانهم المسيحي عناصر باطلة من تراثهم ويحثون الآخرين على الاقتداء بهم.

هذا هو الدرس الثاني من سلسلتنا أعماق الفكر اللاهوتي عند بولس وهو بعنوان بولس وأهل غلاطية سندرس فيه كيف عادت كنائس غلاطية إلى الطفولة الروحية وأيضاً رد فعل بولس. درستنا هذه حول بولس وأهل غلاطية تنقسم إلى ثلاثة أقسام. أولاً، خلفية رسالة بولس إلى أهل غلاطية. ثانياً، رسالته إلى أهل غلاطية. ثالثاً، ما تعلنه هذه الرسالة عن مواقف بولس اللاهوتية الرئيسية. لكن دعونا أولاً ننظر إلى خلفية رسالة بولس إلى أهل غلاطية.

الخلفية

لكي نفهم الأمور التي كتبها بولس إلى أهل غلاطية، نحتاج أولاً أن نُجيب عن بعض الأسئلة التاريخية في غلاطية. سوف ندرس هذا الموضوع بطريقتين. أولاً، رحلته التبشيرية الأولى. ثانياً، سوف ننظر إلى بعض المشاكل المحددة في غلاطية. دعونا ننظر أولاً إلى خلفية رحلة بولس التبشيرية الأولى.

الرحلة التبشيرية الأولى

بدأت هذه الرحلة حوالي سنة 46 م وقد بدأ بولس وبرنابا رحلتها بالإبحار إلى جزيرة قبرص، حيث بدأ يكرزان بالإنجيل بدءاً من مدينة سلاميس في شرق الجزيرة، إلى مدينة بافوس في غربها. من قبرص أبحر بولس وبرنابا إلى برجة، ثم توجهوا نحو الداخل إلى أنطاكية في مقاطعة بيسيديّة، بعد سماعهم لبولس وهو يكرز بالإنجيل في المجمع هناك، تجاوب عدد كبير من اليهود مع الرسالة. لكن لم يمض أسبوع حتى قام اليهود غير المؤمنين بتحريض المدينة ضد بولس وبرنابا. من أنطاكية بيسيديّة توجه بولس وبرنابا شرقاً متوغلاً أكثر في إقليم غلاطية، وكانت محطتهما الأولى في مدينة إيقونية. بعد أن كرزا، آمن الكثير من اليهود والأمم، لكن الكنيسة لم تتأسس بقوة.

كانت محطتهما التالية في مدينة لسترة، حيث نجح بولس في تأسيس كنيسة جديدة هناك. وفي لسترة، ظنوا أن بولس هو الإله هرميز وبرنابا هو زيوس، وحاولوا أن يقدموا ذبائح إلى المرسلين، لكن بولس وبرنابا أوضحا لهما أنهما مجرد بشر. بعد ذلك، وصل بعض اليهود غير المؤمنين من إيقونية، ونجحوا في تحويل سكان لسترة الذين تحرّروا من أوهامهم ضد بولس وبرنابا. سافر بولس وبرنابا شرقاً داخل غلاطية حتى وصلا إلى درية، حيث آمن العديد من الناس بالمسيح. في درية وجد بولس أخيراً الوقت الكافي لينظّم الكنيسة وبعين فيها شيوخاً. لكن بولس كان قلقاً جداً على المؤمنين في لسترة وإيقونية وأنطاكية بيسيديّة. لذلك عاد بولس وبرنابا إلى تلك المدن مخاطرين بحياتهما. وشرحا الضيقات التي يجب على كل المسيحيين أن يتوقعوها وهم يوسعون ملكوت الله. من أنطاكية بيسيديّة عاد المرسلان إلى الساحل وكرزا في مدن برجة وأتالية. ثم أبحرا من أتالية إلى أنطاكية سورية.

أشار بولس في رسالته إلى أهل غلاطية إلى الوقت الذي أمضاه في غلاطية. من هنا، يمكننا أن نستنتج أنه كتب رسالته هذه في وقت ما بعد رحلته التبشيرية الأولى. الرسالة إلى أهل غلاطية لا تشير إلى اجتماع الرسل الشهير في أورشليم المشار إليه في أعمال الرسل ١٥ والذي عُقد لاحقاً.

عالج المجمع في أورشليم بعضاً من المسائل التي تناولها بولس في رسالته إلى أهل غلاطية. ومن المتوقع أن بولس كتب رسالته إلى أهل غلاطية حوالي سنة ٤٨ م، أي قبل مضي حوالي سنة على تركه غلاطية لكن قبل انعقاد مجمع أورشليم.

أما الآن، بعد أن رأينا العلاقة بين رسالة غلاطية ورحلة بولس التبشيرية الأولى دعونا ننظر إلى المشاكل المحددة في غلاطية التي أفلقت بولس.

المشاكل

ما هي الظروف التي كانت تواجهها كنائس غلاطية؟ سوف نستعرض مسألتين: تدفق الأمم إلى هذه الكنائس وبروز المعلمين الكذبة. دعونا ننظر أولاً إلى الطريقة التي تهافت فيها المسيحيون من الأمم على كنائس غلاطية.

تدفق الأمم

على عكس ما توقع بولس رفض عدد كبير من اليهود في غلاطية رسالة الإنجيل. وقد أدرك بولس من خلال هذه المقاومة الواسعة أن الله يريد أن يشدد في خدمته على ربح الأمم. اصغوا إلى كلمات بولس إلى اليهود في أنطاكية بيسيديّة والمدوّنة في أعمال الرسل ١٣: ٤٦-٤٧:

كَانَ يَجِبُ أَنْ تُكَلِّمُوا أَنْتُمْ أَوَّلًا بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكِنْ إِذْ دَفَعْتُمُوهَا عَنْكُمْ وَحَكَمْتُمْ أَنْتُمْ غَيْرَ مُسْتَحِقِّينَ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ هُوَذَا نَتَوَجَّهُ إِلَى الْأُمَمِ. لِأَنَّ هَكَذَا أَوْصَانَا الرَّبُّ قَدْ أَقَمْتَك نُورًا لِلْأُمَمِ لِتَكُونَ أَنْتَ خَلَاصًا إِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ. (أعمال الرسل ١٣: ٤٦-٤٧)

يكشف لنا هذا المقطع تبديلاً رئيسياً في خدمة بولس. فهو كيهودي مال بطبيعته إلى إعطاء تبشير اليهود الأولوية، لكن الله يدعو إلى تبشير الأمم. اصغوا إلى الطريقة التي يلخص فيها لوقا خدمة بولس في إيقونية في أعمال الرسل ١٤: ١:

وَحَدَّثَ فِي إِيْقُونِيَّةٍ أَنَّهَا دَخَلَا مَعًا إِلَى مَجْمَعِ الْيَهُودِ وَتَكَلَّمَا حَتَّى آمَنَ جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنَ الْيَهُودِ وَالْيُونَانِيِّينَ. (أعمال الرسل ١٤: ١)

كذلك يخبرنا لوقا في أعمال الرسل ١٤: ٢٧ بقوله:

الله ... فَتَحَ لِلْأُمَّمِ بَابَ الْإِيمَانِ. (أعمال الرسل ١٤ : ٢٧)

قد نظن أن الجميع فرحوا برؤية هذا العدد الكبير من الأمم في كنائس غلاطية. لكن تدفُّق الأمم أدى في الواقع إلى مشاكل خطيرة.

المعلمون الكذبة

قبل رحلة بولس التبشيرية الأولى، كانت الكنيسة المسيحية مؤلفة بصورة خاصة من اليهود. لكن تدفُّق الأمم لاحقاً أدى إلى كل أنواع المشاكل اللاهوتية والسلوكية. فهل يجب على هؤلاء الأمم أن يتبعوا التقاليد اليهودية؟ هذا النوع من الأسئلة أدى إلى قيام معلمين كذبة في غلاطية. وهؤلاء المعلمون اليهود أصروا على ضرورة ختانهم.

في رحلته التبشيرية لم يبق بولس بختان أي من المؤمنين الأمم، لكن أثناء غيابه علم المعلمون الكذبة تعاليم مخالفة لتعاليمه. مسألة ختان المؤمنين الأمم في غلاطية باتت خطيرة لدرجة استوجبت على بولس معالجتها. فقد شكَّلت انحرافاً خطيراً عن جوهر الإنجيل المسيحي.

سوف نتطرق إلى ثلاثة طرق آمن بولس بأن التشديد على الختان يشكل فيها فهماً مغلوفاً للإيمان المسيحي. أولاً، في هذا التشديد إنكار لكفاية موت المسيح وقيامته للخلاص. ثانياً، يُظهر هذا التشديد الاعتماد الباطل على قوة الجسد؛ وثالثاً، يؤدي هذا التشديد على الانقسام.

معلمي غلاطية الكذبة رأوا في الختان ذبيحة دموية تمكّن المؤمنين من العيش بطريقة ترضي الله. فعلى المسيحيين برأيهم أن يضيفوا الختان إلى عمل المسيح الخلاصي. لكن هذا المفهوم يجرد موت المسيح من معناه الحقيقي. لذلك كتب بولس هذه الكلمات إلى أهل غلاطية في ٥ : ٢:

هَآ أَنَا بُولُسُ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ إِنِ اخْتَنَنْتُمْ لَا يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئاً. (غلاطية في ٥ :

(٢)

بالإضافة إلى رفضهم كفاية المسيح، فإن المعلمين الكذبة قالوا إن المؤمنين يجب أن يتكلموا على الجسد لإكمال خلاصهم. وقد أشار بولس بوضوح إلى هذه المسألة في غلاطية ٣ : ٣:

أَهْكَذَا أَنْتُمْ أَغْبِيَاءُ أَبْعَدَمَا ابْتَدَأْتُمْ بِالرُّوحِ تُكْمَلُونَ الْآنَ بِالْجَسَدِ. (غلاطية ٣: ٣)

الكلمة اليونانية المترجمة جسد هي ساركس، ويستخدمها بولس عادة للإشارة إلى القوة البشرية الطبيعية، غالباً بارتباطها بالطرق البشرية الشريرة. من هنا، يمكن ترجمة كلمة جسد بالمجهود البشري.

عندما خدم بولس في البداية في غلاطية، رافقت كرازته بالعجائب. فلا شك أن مؤمني غلاطية بدأوا حياتهم المسيحية بقوة الروح القدس. لكنهم بعودتهم إلى الختان، صاروا يعتمدون على مؤهلاتهم البشرية. وما يثير السخرية، هو أن اعتمادهم هذا على مؤهلاتهم البشرية حَكَمَ عليهم بالفشل.

بالإضافة إلى نكران المعلمين الكذبة لقيمة عمل المسيح وأهمية الروح القدس، فقد سببوا انقسامات في الكنيسة. ويشير بولس إلى ذلك في غلاطية ٦: ١٥-١٦:

لأنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَيْسَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئاً وَلَا الْغُرْلَةُ، بَلِ الْخَلِيقَةُ الْجَدِيدَةُ.
فَكُلُّ الَّذِينَ يَسْلُكُونَ بِحَسَبِ هَذَا الْقَانُونِ عَلَيْهِمْ سَلَامٌ وَرَحْمَةٌ، وَعَلَى إِسْرَائِيلِ اللَّهِ.
(غلاطية ٦: ١٥-١٦)

فالانقسام الموجود في كنائس غلاطية أقلق بولس كثيراً. كانت مناهضة تماماً لما عمله المسيح ومخالفة للمثل الذي تجاهد الكنيسة لتعيشها. ففي نظر العديد من الأشخاص في الكنيسة، لا سيما المؤمنين من اليهود، كان الشخص الذي يرفض الختان يُعتبر مؤمن من الدرجة الثانية. فلا عجب إذاً أن تكون قد نشأت انقسامات بين أولئك المسيحيين المختونين وسواهم من غير المختونين. من هنا نرى أن المعلمين الكذبة قد سببوا مشاكل خطيرة لكنائس غلاطية. لم يقدر بولس أن يبقى صامتاً، فالغلاطيون هم أولاده الروحويون. لذلك كتب لينقذ المؤمنين من اليهود والأمم من آراء المعلمين الكذبة.

والآن بعد أن رأينا بعض النواحي الهامة في خلفية رسالة بولس إلى أهل غلاطية، أصبحنا أكثر استعداداً للاطلاع عن كثب على بنية الرسالة ومحتواها. سوف نستعرض بإيجاز رسالة غلاطية ملخّصين كل قسم من أقسامها الرئيسية.

المحتوى

تنقسم رسالة غلاطية إلى ستة أقسام رئيسية: أولاً، مقدمة في ١ : ١-٥. ثانياً، تقديم المشكلة في غلاطية في ١ : ٦-١٠؛ ثالثاً، عدة سجلات تاريخية من ١ : ١١-٢ : ٢١؛ رابعاً، سلسلة من البراهين على عقيدة التبرير بالإيمان من ٣ : ١-٤ : ٣١؛ خامساً، بعض النصائح العملية من ٥ : ١-٦ : ١٠؛ سادساً وأخيراً خاتمة في ٦ : ١١-١٨.

المقدمة

مقدمة رسالة غلاطية مختصرة. وهي تشير بوضوح إلى الرسول بولس، وتعرف كنائس غلاطية. أما الخاتمة فهي مختصرة، تنهي الرسالة ببعض الملاحظات النهائية وببركة بولس الشخصية للكنائس.

تمهيد للمشكلة

في القسم الثاني ١ : ٦-١٠، والذي أسميناه "تقديم المشكلة"، يبدأ بولس مباشرة رده على المشكلة. وقد عبّر عن دهشته وحذر قراء رسالته من خطر اتباع المعلمين الكذبة. وقد شدّد أن رفض تعاليمه هو بمثابة قبول إنجيل كاذب. اصغوا إلى ١ : ٨:

وَلَكِنْ إِنْ بَشَرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلَائِكُ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَرْنَاكُمْ فَلْيَكُنْ أَنَاثِيمًا.
(غلاطية 1 : 8)

فاتباع المعلمين الكذبة كان بمثابة رفض لإنجيل المسيح الحقيقي. ويوضح لنا هذا القسم من الرسالة أن مصير الغلاطيين الأبدي كان على المحك.

وقائع تاريخية

القسم الثالث من الرسالة ١: ١١-٢: ٢١ أكثر تفصيلاً. فهو يتألف من عدة سجلات تاريخية. دعوة بولس وتدريبه في ١: ١١-١٧؛ لقاء بولس مع قادة الكنيسة في أورشليم في ٢: ١-١٠؛ ونزاع بولس مع بطرس في أنطاكية سورية في ٢: ١١-٢١.

دعوة وتدريب

تفسر دعوة بولس وتدريبه كيف كان لبولس السلطة لمقاومة ختان الأمم. أولاً، أحب بولس تقاليد إسرائيل. اصغوا إلى كلماته في غلاطية ١: ١٣-١٤:

فَاتَكُم سَمِعْتُمْ بِسِيرَتِي قَبْلًا فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ ... وَكُنْتُ أَتَقَدَّمُ فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ عَلَى كَثِيرِينَ مِنْ أَتْرَابِي فِي جِنْسِي، إِذْ كُنْتُ أَوْفَرَّ غَيْرَةً فِي تَقْلِيدَاتِ آبَائِي.
(غلاطية ١: ١٣-١٤)

لكن بولس أظهر أيضاً كيف تبدل موقفه. فعندما كان في غلاطية، لم يطلب بولس من الأمم أن يختتنوا. لكن كيف يمكنه فعل ذلك؟ اصغوا إلى شهادة بولس في غلاطية ١: ١٥-١٨:

وَلَكِنْ لَمَّا سَرَّ اللَّهُ ... أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لِأَبَشْرٍ بِهِ بَيْنَ الْأُمَمِ، لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ لِحْماً وَدَمًا ... بَلْ انْطَلَقْتُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ رَجَعْتُ أَيْضًا إِلَى دِمَشْقَ. ثُمَّ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ صَعَدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ. (غلاطية ١: ١٥-١٨)

أمضى بولس ثلاث سنين في الصحراء العربية يتعلم الإنجيل والعقائد المسيحية مباشرة من يسوع. فالرب يسوع المسيح نفسه، علم بولس آراءه الجديدة. والاعتراض على بولس في هذه المسألة يعني الاعتراض على المسيح نفسه.

لقاء مع القادة

أما السجل التاريخي الآخر في (٢: ١-١٠)، يخبرنا عن لقاء بولس مع القادة في أورشليم. وببساطة التقى بولس، بقيادة الكنيسة في أورشليم الذين اعترفوا بخدمته في تبشير الأمم. اصغوا إلى ما دونه بولس في غلاطية ٢: ١-٩:

صَعِدْتُ أَيْضاً إِلَى أُورُشَلِيمَ... بِمُوجِبِ إِعْلَانٍ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الْإِنْجِيلَ الَّذِي أَكْرَزُ بِهِ بَيْنَ الْأُمَمِ... إِذْ رَأَوْنَا أَنِّي أُوتِمِنْتُ عَلَى إِنْجِيلِ الْغُرَّةِ... يَعْفُوبُ وَصَفَا وَيُوحَنَّا... أَعْطَوْنِي وَبِرَنَابَا يَمِينِ الشَّرِكَةِ لِنَكُونَ نَحْنُ لِلْأُمَمِ. (غلاطية 2: 1-9)

وقد روى بولس هذه القصة للغلاطيين لكي يدركوا أن خدمته بين الأمم لا تتعارض مع التعليم الموثوق به لقادة الكنيسة في أورشليم. كان لبولس كل الحق بالتعاطي مع مسألة ختان الأمم كما فعل.

خلاف مع بطرس

أما السجل التاريخي الثالث الذي نجده في ٢: ١١-٢١، فيصف نزاع بولس مع بطرس في أنطاكية سورية. ففي وقت سابق صادق بطرس الأمم غير المختونين بحرية. لكنه لم يلبث لاحقاً أن خاف على سمعته وعزل نفسه عن المؤمنين غير المختونين. بغض النظر عما آمن به بطرس في قلبه، فإن أفعاله تماشت مع الاعتقاد الخاطئ بأن المؤمنين الأمم غير المختونين هم أقل شأناً من المؤمنين اليهود. عندما اكتشف بولس ذلك، واجه بطرس بالأمر. نقرأ في غلاطية ٢: ١٥-١٦ ما قاله بولس لبطرس في تلك المناسبة:

نَحْنُ بِالطَّبِيعَةِ يَهُودٌ وَلِسْنَا مِنَ الْأُمَمِ خُطَاةٌ إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ بَلْ بِإِيمَانٍ يَسُوعَ الْمَسِيحِ آمَنَّا نَحْنُ أَيْضًا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانٍ يَسُوعَ لَا بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ. لِأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لَا يَتَبَرَّرُ جَسَدًا مَا. (غلاطية 2: 16-15)

(16-15)

وقد كتب بولس ليبرهن أن بطرس ذاته خضع لتصحيحه في هذه المسألة. إذا بولس صحح بطرس فمؤكد أنه صحح معلمي غلاطية الكذبة. في هذه السجلات الثلاثة، الدعوة والتدريب، لقاء القادة في أورشليم والنزاع مع بطرس، دعم بولس بقوة قضيته ضد المعلمين الكذبة.

براهين لاهوتية

بعد أن قدّم هذه السجلات التاريخية، انتقل بولس إلى القسم الرابع من هذه الرسالة في ٣: ١-٤: ٣١. وهناك قدّم حججاً لاهوتية مباشرة حول عقيدة التبرير بالإيمان. وتنقسم مادته إلى أربعة أقسام. أولاً، اختبار الغلاطيين الباكر. ثانياً، سجل إيمان إبراهيم الخلاصي. ثالثاً، اختبار مؤمني غلاطية الحالي. ورابعاً قصة زوجتي إبراهيم وأبنائه.

الاختبار المبكر

في ٣: ١-٥، حيث ركّز بولس على اختبار الغلاطيين الباكر. في ٣: ٢-٥ كتب هذه الكلمات:

أُرِيدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ مِنْكُمْ هَذَا فَقَطُّ أَبَاعْمَالِ النَّامُوسِ أَخَذْتُمْ الرُّوحَ أَمْ بِخَبْرِ الْإِيمَانِ...
أَبَعْدَمَا ابْتَدَأْتُمْ بِالرُّوحِ تَكْمَلُونَ الْآنَ بِالْجَسَدِ؟ أَهَذَا الْمَقْدَارَ اخْتَمَلْتُمْ عَبَثًا؟ إِنْ كَانَ
عَبَثًا! فَالَّذِي يَمْنَحُكُمْ الرُّوحَ، وَيَعْمَلُ قُوَّاتٍ فِيكُمْ، أَبَاعْمَالِ النَّامُوسِ أَمْ بِخَبْرِ الْإِيمَانِ.
(غلاطية 3: 2-5)

أشار بولس إلى رحلته التبشيرية الأولى. ويخبرنا ١٣ و ١٤ من أعمال الرسل عن نيل الغلاطيين الكثير من بركات الروح القدس. فكلا الطرفين يعلمان أن بركات الروح القدس تلك لم تأت نتيجة طاعة شريعة الله. وكان على الغلاطيين من خلال هذا الاختبار، أن يفهموا أن بركات الله لا يمكن نيلها لاحقاً من خلال طاعة الشريعة.

إيمان إبراهيم

انتقل بولس إلى مثال إيمان إبراهيم الخلاصي. وقد بيّن لهم في ٣: ٦-٤: ١١ أن الله بارك إبراهيم بسبب إيمانه وليس بسبب طاعته لشريعة الله. يمكننا اختصار مناقشة بولس بأربع خطوات. أولاً، إبراهيم تبرر عن طريق الإيمان بوعد الله له بأن يعطيه ابناً. في ٣: ٦-٧ أشار بولس إلى تكوين ١٥: ٦ داعياً إياهم إلى التعلم من إبراهيم:

كَمَا آمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بَرًّا. اعْلَمُوا إِذَا أَنْ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الْإِيمَانِ أَوْلَيْكُمْ هُمْ
بَنُو إِبْرَاهِيمَ. (غلاطية 3: 6-7)

من وجهة نظر بولس، فإن تكوين ١٥: ٦ أعلن بوضوح أن إبراهيم تبرر بإيمانه بكلمة الله وليس على أساس ختانه الذي تم بعد عدة سنين. وعلى هذا الأساس، يستنتج بولس أن أولاد الله الحقيقيين هم أولئك الذين تبعوا مثاله بالثقة بوعد الله للخلاص. ثانياً، أشار بولس أن الله أخبر إبراهيم أن وعد الخلاص سيُنشر من خلاله إلى الأمم. يشير بولس في غلاطية ٣: ٨-٩ إلى تكوين ١٢: ٣ كما يلي:

وَالْكِتَابُ إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ يُبَرِّرُ الْأُمَّمَ سَبَقَ فَبَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ فِيكَ
تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الْأُمَّمِ. إِذَا الَّذِينَ هُمْ مِنَ الْإِيمَانِ يَتَبَارَكُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤْمِنِ.
(غلاطية 3: 8-9)

فهم بولس التكوين ١٢: ٣ لكي يعلم عن زمن كان موعود، سيبارك فيه الله كل الأمم في العالم. كما نال إبراهيم البركة بالإيمان. ثالثاً، أراد بولس أن يفهموا الغلاطيين أن الختان يعني: "ليتني أقطع من أرض الأحياء إن كنت لا أطبق الناموس بأمانة". وقد جاء المسيح بالتحديد لأن لا أحد يعيش على هذا المستوى. وكما أشار بولس في غلاطية ٣: ١٣:

الْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِنَا. (غلاطية ٣: ١٣)

بتعلقه على الصليب، فقد حمل المسيح بنفسه لعنة الخطية الرهيبة. وكان على الغلاطيين أن يفهموا أن بركات الأمانة في حفظ العهد هي لهم بالكامل بالإيمان في المسيح. رابعاً، اعترض بولس بأن شريعة موسى لم تلغ مثل إبراهيم. فهو كما يشير في غلاطية ٣: ١٧-١٩:

وَأَمَّا أَقُولُ هَذَا إِنَّ النَّامُوسَ الَّذِي صَارَ بَعْدَ أَرْبَعِمِئَةٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً لَا يَنْسَخُ عَهْدًا قَدْ سَبَقَ فِتْمَكَنَ مِنَ اللَّهِ نَحْوَ الْمَسِيحِ حَتَّى يُبْطَلِ الْمَوْعِدُ... فَلِمَاذَا النَّامُوسُ قَدْ زِيدَ بِسَبَبِ التَّعَدِّيَاتِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ النَّسْلُ الَّذِي قَدْ وُعِدَ لَهُ. (غلاطية 3: 17-19)

الشريعة لم تُعطَ لثُمَّنَّ الناس من كسب بركات الله عن طريق الأعمال، كما ادَّعى المعلمون الكذبة. فالشريعة أعطيت لتحضّر إسرائيل للمسيح. خامساً، أعلن بولس أن بركات الله نالها فقط أولئك الذين ينتمون إلى ابن إبراهيم الخاص الذي هو المسيح. ويشير بولس إلى ذلك في رسالته إلى أهل غلاطية في ٣: ١٦، ٢٩:

وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقَبِلْتُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لَا يَقُولُ وَفِي الْأَنْسَالِ كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ وَفِي نَسْلِكَ الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ. فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ فَأَنْتُمْ إِذَا نَسَلْتُمْ إِبْرَاهِيمَ وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةً. (غلاطية 3: 16، 29)

بينما كان بولس يقرأ في سفر التكوين لاحظ في ٢٢: ١٨ أن الكلمة العبرية "زرع" المترجمة هنا "نسل" هي في المفرد وليست في الجمع. فميراث إبراهيم لم يعط لكل أولاد إبراهيم كأفراد، بل أعطيت بالدرجة الأولى إلى ابن إبراهيم الذي هو بمثابة الرأس الذي يمثل كل نسله. أدرك بولس أن المسيح هو نسل إبراهيم العظيم الذي هو الرأس النهائي الممثل لشعب الله عبر الأجيال. ومن خلال هذه الحجج، بيّن بولس أن التبرير يناله فقط أولئك الذين يتبعون مثال إبراهيم وينالون بركات الله من خلال ابن إبراهيم.

الاختبار الحالي

بعد تذكيره الغلاطيين باختبارهم وبإيمان إبراهيم، أشار بولس إلى اختبار الغلاطيين الحالي. اصغوا إلى ما كتبه في ٤: ١٥-١٦:

فَمَاذَا كَانَ إِذَا تَطْوَيْكُمْ... أَفَقَدْ صِرْتُمْ إِذَا عَدُوًّا لَكُمْ لِأَنِّي أَصَدِّقُ لَكُمْ. (غلاطية 4: 16-15)

عبر بولس هنا عن قلقه الكبير على حالة الغلاطيين الروحية. فبابتعاد الغلاطيين عن الإنجيل، خسروا فرحهم وهو ثمر من ثمار الروح القدس. وهذه الخسارة وحدها كانت كافية لتنبه الغلاطيين إلى حقيقة وجود خطأ ما.

زوجتا إبراهيم وابناه

أما الناحية الرابعة التي دعم فيها بولس قضيته ضد المعلمين الكذبة، كانت بالتركيز على زوجتي إبراهيم وابنائهما في غلاطية ٤: ٢١-٣١. فقد أوضح بولس أن في تكوين ١٥ وعد الله إبراهيم بوريث من خلال زوجته سارة. لكن سارة كانت عاقرة وتجاوزت سن الإنجاب. وعن طريق الوثوق بالله لإتمام كلمته أنجبت سارة ابنها إسحق. فإسحق هو ابن الوعد.

لكن، كما يخبرنا تكوين 16، قبل أن يولد إسحق فقد إبراهيم صبره من انتظار الله ليعطيه الابن الذي وعده به. فتحول إلى جارية سارة لتعطيه ابناً. وهو بعمله هذا، سعى إلى تأمين وريث له عن طريق المجهود البشري، مجهود الجسد. أنجبت هاجر لإبراهيم ابناً يدعى إسماعيل، ويات رمزاً للذين يتكلمون على الجسد كوسيلة للخلاص. بعد أن أظهر التباين بين زوجتي إبراهيم وابنيه، ختم بولس حجته في غلاطية (٤: ٣١):

إِذَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ لَسْنَا أَوْلَادَ جَارِيَةٍ بَلْ أَوْلَادُ الْحُرَّةِ. (غلاطية 4: 31)

الإيمان بوعده الله هو طريق الخلاص بالنسبة للمسيحيين، تماماً مثلما أنجبت سارة إسحق نتيجة إيمان إبراهيم. فكما هي الحال في أيام إبراهيم، فإن المؤمنين في كل عصر يتبررون ويخلصون وينالون قوة ليعيشوا حياة البر عن طريق الإيمان بوعده الله، وليس باستحقاقهم الذاتي. وهكذا رأينا كيف قدّم بولس أربع حجج. وقد دعم حججه هذه من اختبار الغلاطيين الباكر للخلاص، وإيمان إبراهيم، وخسارة الغلاطيين الأخير لفرحهم؛ وكذلك من خلال قصة زوجتي إبراهيم وابنائهم.

نصائح عملية

مبقين محتوى الإصحاحات ١-٤ في أذهاننا يمكننا أن نلخص النصائح الواردة في ٥: ١-٦: ١٠. يعالج بولس عدداً من المشاكل العملية. سنلخص أفكار بولس هنا تحت ثلاثة عناوين: الحرية المسؤولة في المسيح في ٥: ١-١٥؛ قوة الروح القدس في ٥: ١٦-٢٦؛ ودينونة الله في ٦: ١-١٠. لنلق أولاً نظرة على تشديد بولس على الحرية ذات المسؤولية في المسيح.

الحرية في المسيح

في ٥: ١-١٥ دعا بولس الغلاطيين إلى التمسك بحريتهم في المسيح. فقد شدّد على الحاجة إلى المحافظة على الحرية المسيحية. اصغوا إلى كلماته في ٥: ١:

فَاتَّبِعُوا إِذَا فِي الْحُرِّيَةِ الَّتِي قَدْ حَرَّرَنَا الْمَسِيحُ بِهَا وَلَا تَرْتَبِكُوا أَيْضاً بِنِيرِ عُبُودِيَّةٍ.
(غلاطية ٥: ١)

خلال رحلته التبشيرية الأولى، قام بولس بجذب الأمم إلى الإيمان المسيحي دون أن يضع عليهم أي أُنْقَال، لأن الأُنْقَال الناموسية خطيرة جداً. وكما كتب في غلاطية ٥: ٢-٣:

هَا أَنَا بُولُسُ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ إِنْ اخْتَنَنْتُمْ لَا يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئاً لَكِنْ أَشْهَدُ أَيْضاً لِكُلِّ
إِنْسَانٍ مُخْتَنٍ أَنَّهُ مُلْتَزِمٌ أَنْ يَعْمَلَ بِكُلِّ النَّامُوسِ. (غلاطية ٥: ٢-٣)

أدخل المعلمون الكذبة في غلاطية نظاماً ناموسياً للتبرير. فقد علّموا المؤمنين أن يعتمدوا على طاعتهم للناموس بدل الاعتماد على المسيح. فقد كان عليهم أن يختاروا بين حرية المسيح وعبودية الشريعة. الأولى تقود إلى الخلاص أما الثانية فإلى الدينونة. غير أن بولس، وازن بين دفاعه عن الحرية المسيحية وتأكيدِه على المسؤولية الأخلاقية المسيحية. وحذر ضد مخالفة شريعة الله الأخلاقية. في ٥: ١٣ كتب بولس:

فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا دُعِيتُمْ لِلْحُرِّيَّةِ أَيُّهَا الإِخْوَةُ. غَيْرَ أَنَّهُ لَا تُصَيِّرُوا الْحُرِّيَّةَ فُرْصَةً لِلْجَسَدِ، بَلْ بِالْمَحَبَّةِ اخْدُمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. (غلاطية 5: 13)

حرّر المسيح المسيحيين الغلاطيين من عبودية الشريعة كسبيل للتبرير وكقوة لحياة التقوى. لكنه مع ذلك طالبهم بحفظ وصايا الله. إن حريتهم من الختان لم تتضمن حرية مخالفة طبيعة الله المقدسة.

قوة الروح القدس

ثانياً، تحدث عن أهمية قوة الروح القدس في غلاطية ٥: ١٦-٢٦. كيف يمكن للغلاطيين أن ينالوا قوة ليقاوموا الخطية إن لم يكن ذلك من خلال الناموسية والمجهود البشري؟ بكلمة واحدة، أجب بولس أن على كل مؤمن أن يعتمد على الروح القدس. اصغوا إلى الطريقة التي يشير فيها إلى ذلك في ٥: ١٦، ٢٥:

وَأِنَّمَا أَقُولُ اسْلُكُوا بِالرُّوحِ فَلَا تُكْمَلُوا شَهْوَةَ الْجَسَدِ. إِنَّ كُنَّا نَعِيشُ بِالرُّوحِ، فَلْنَسْلُكْ أَيْضًا بِحَسَبِ الرُّوحِ. (غلاطية 5: 16، 25)

من وجهة نظر بولس، الطريقة الوحيدة لعيش حياة مقدسة في المسيح هي بالاعتماد على روح الله وطاعته. فبرأي بولس، لا يمكن فصل السلوك بالروح عن الإعلان المكتوب. فروح الله كان دائماً يقود شعب الله ليعيشوا حسب كلمته المكتوبة.

لكن السلوك بالروح ليس مجرد تطابق الحياة مع نصوص مكتوبة. فهو يتضمن أيضاً اعتماداً واعياً على قوة الروح القدس لإتمام ما أمر به الله.

الدينونة الإلهية

ثالثاً، لخص بولس هذه المسائل العملية عن طريق إشارته إلى دينونة الله. اصغوا إلى تحذيره الشديد في ٦: ٧-٩:

لَا تَضِلُّوا اللَّهَ لَا يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الْإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضاً. لِأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِحَسَدِهِ فَمِنَ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَاداً وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنَ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً. فَلَا نَفْسُلُ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ لِأَنَّنا سَنَحْصُدُ فِي وَقْتِهِ إِنْ كُنَّا لَا نَكُلُّ. (غلاطية ٦: ٧-٩)

عرف بولس أن المؤمنين الحقيقيين في المسيح، لا يمكن أن يفقدوا خلاصهم. وكذلك عرف أن ليس كل شخص يعلن إيمانه، سيكون عنده إيمان منقذ. لذلك حذر كنائس الغلاطيين أن لا ينسوا دينونة الله ألقادمة.

من خلال هذه الدراسة المختصرة لرسالة بولس إلى أهل غلاطية، يمكننا ان نرى ان بولس دحض تعاليم المعلمين الكذبة في غلاطية بطرق عدة. فقد ناشد الغلاطيين شخصياً، وحثهم على الإيمان بالإنجيل الحقيقي. باختصار، حث بولس الغلاطيين على والتمسك من جديد بإنجيل التبشير بالإيمان بدون أعمال.

درسنا حتى الآن خلفية رسالة بولس إلى كنائس غلاطية والمحتوى الأساسي لهذه الرسالة. ونحن الآن جاهزين لنستعرض موضوعنا الثالث وهو: كيف تعكس رسالة غلاطية مواقف بولس اللاهوتية الرئيسية.

وجهات نظر لاهوتية

قد تذكرون أننا في درسنا الأول من هذه السلسلة قلنا إنه يجب التمييز بين التعاليم المحددة في رسائل بولس وتعاليمه اللاهوتية الرئيسية. وقد وبّخ بولس مرة بعد أخرى المعلمين الكذبة في غلاطية لدعوتهم المسيحيين الأمم لممارسة الختان. وقد صرف الكثير من الوقت في البحث في موضوع الختان والتبرير بالإيمان.

تصريحات بولس الواضحة المتعلقة بالختان والخلص هي في الواقع تعبير عن قناعاته اللاهوتية الأساسية الأخرى. وتعليمه في رسالة غلاطية هو تطبيق لأفكاره الرئيسية فيما يتعلق بالأمور الأخيرة (الإسخاتولوجيا).

تذكرون أيضاً كيف علّم الرسول بولس أن العالم الآتي العظيم بدأ بموت المسيح وقيامته، على الرغم من أن الخطية والموت لن يزولا بالكامل إلا بعد رجوع المسيح في مجده. وهذا يعني أن المسيحيين يعيشون اليوم فيما يُسمّى "تحقق وليس بعد" وهو وقت يتزامن فيه دهر الخطية والموت مع دهر الخلاص الأبدي.

لكن حقيقة أن هذا العالم والعالم الآتي متزامنين قاد إلى الكثير من سوء الفهم الخطير في غلاطية. فقد آمن بولس أن الخلافات المحددة حول الختان والتبرير وما شابههما في غلاطية هي علامات لمشكلة أعمق.

فالبدعة الأساسية في غلاطية كانت تقليل المعلمين الكذبة من مقدار تحقيق المسيح للعالم الآتي من خلال موته وقيامته. فقد فشلوا في إدراك إلى أي مدى كان العالم الآتي حاضراً الآن. ونتيجة لذلك يمكننا تسمية هذا التعليم الكاذب "بالأمور الأخيرة (الإسخاتولوجيا) المحققة جزئياً" أي أن آراءهم قللت من معنى المجيء الأول للمسيح.

فمن جهة هاجم بولس تعليم "الأمور الأخيرة المحققة جزئياً" عند المعلمين الكذبة في كل جزء من رسالة غلاطية. لكننا سنركّز على ستة مجالات طبّق فيها بولس بوضوح مواقفه اللاهوتية على تلك المشكلة. أولاً، وصفه للمسيح؛ ثانياً، تركيزه على الإنجيل؛ ثالثاً، شريعة موسى، رابعاً، عقيدة الاتحاد بالمسيح، خامساً، تشديده على الروح القدس في الحياة المسيحية؛ وسادساً، استشهاده الأخير بعقيدته حول الخليقة الجديدة.

المسيح

إشارة بولس إلى عقيدته في الأمور الأخيرة بات واضحاً من خلال وصفه للمسيح في مقدمة رسالة غلاطية. اصغوا إلى كيفية وصف بولس ليسوع في غلاطية ١: ٣-٤:

نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلَامٌ مِنَ اللَّهِ الْآبِ وَمِنْ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي بَدَلَ نَفْسَهُ لِأَجْلِ
خَطَايَانَا لِيُنْقِذَنَا مِنَ الْعَالَمِ الْحَاضِرِ الشَّرِيرِ حَسَبَ إِرَادَةِ اللَّهِ وَأَبِينَا. (غلاطية 1: 3-4)

لاحظ كيف أن بولس لم يتمنى ببساطة للغلاطيين بركات من الآب والمسيح. بل بالحري لفت نظرهم إلى القصد الذي من أجله أرسل الآب المسيح. وهو يشير إلى ذلك هنا: الله أرسل يسوع "لينقذنا من العالم الحاضر الشرير".

إن عبارة "العالم الحاضر الشرير" الذي صار مألوفاً عندنا هو مصطلح يهودي مرادف "لهذا العالم"، عالم الخطية والدينونة قبل مجيء المسيا. وصف بولس المسيح بهذه الطريقة لأنه أراد أن يشير منذ بداية رسالته إلى أن الغلاطيين فشلوا في إدراك السبب الذي من أجله أتى المسيح إلى الأرض، ألا وهو لكي يخلص المؤمنين وينقلهم إلى العالم الآتي.

منع المعلمون الكذبة في غلاطية العديد من المؤمنين من رؤية التغييرات العظيمة التي جاء بها المسيح إلى العالم. وهذا واضح بصورة خاصة من خلال إصرار المعلمين الكذبة على العودة إلى علامة عهد الختان الذي بطل. وبعلم الإيمان المسيحي أن يسوع جاء إلى الأرض ليخلص المؤمنين من هذا العالم وطرقه القديمة. ونكران هذه الحقيقة نظرياً أو في الممارسة هو بمثابة نكران لجوهر الإيمان المسيحي.

الإنجيل

الناحية الثانية التي كشف فيها بولس عن قلقه من تعليم "الأمور الأخيرة المحققة جزئياً" عند الغلاطيين، هي في اعتباره خلافه مع المعلمين الكذبة هي مسألة تتعلق "بالإنجيل". اصغوا إلى الطريقة التي لخص فيها هذه المسألة في غلاطية ١: ٦-٧:

إِنِّي أَعْجَبُ أَنْكُمْ تَنْتَقِلُونَ هَكَذَا سَرِيعاً عَنِ الَّذِي دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ إِلَى إِنْجِيلِ
آخَرَ لَيْسَ هُوَ آخَرَ غَيْرَ أَنَّهُ يُوجَدُ قَوْمٌ يُزَعِّجُونَكُمْ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُحَوِّلُوا إِنْجِيلَ
الْمَسِيحِ. (غلاطية 1: 6-7)

من المؤكد أن المعلمين الكذبة في غلاطية لم يمتنعوا عن الحديث عن يسوع. فقد استمروا في ادعائهم أنهم مسيحيون. فما سبب اعتبار بولس لرسالتهم إنجيلاً آخر أو لا إنجيلاً على الإطلاق؟

لكي ندرك أهمية هذا التصريح، يجب أن نتذكر أن التعبير إنجيل، أو الأخبار السارة كما يترجم أحياناً مشتق من الكلمة اليونانية *euangelion* وهذه الكلمة اليونانية مشتقة من كلمة مبشر في العهد القديم لا سيما كما هي مستخدمة في إشعياء. اصغوا إلى كلمات النبي إشعياء في ٥٢: ٧:

مَا أَجْمَلَ عَلَى الْجِبَالِ قَدَمِي الْمُبَشِّرِ الْمُبَشِّرِ بِالسَّلَامِ الْمُبَشِّرِ بِالْخَيْرِ الْمُبَشِّرِ
بِالْخَلَّاصِ الْقَائِلِ لِصِهْيُونَ قَدْ مَلَكَ إِلَهُكَ. (إشعياء 52: 7)

في هذا المقطع، تكلم إشعياء عن الزمن الذي سينتهي فيه سبي إسرائيل. واستخدم كلمة المبشر كإشارة إلى الخبر السار بأن السبي قد انتهى، وأن الله قد وطّد ملكه في التاريخ البشري، وبدأ بإدانة أعدائه ومباركة شعبه. وكما أشار إشعياء هنا، فإن أخبار الخلاص السارة هي قد ملك إلهك، ملك الله. هذا الملك بعد السبي هو ما يسميه العهد الجديد ملكوت الله، وهو تعبير آخر للعالم الآتي. وهكذا عندما قال بولس أن المعلمين الكذبة ليس عندهم إنجيل "ليس هو آخر"، قصد أنهم أنكروا أن المسيح حقق العالم الآتي، عالم الخلاص، عالم ملكوت الله. وبتعليم المعلمين الكذبة عن الختان، مع ما يتضمن ذلك من تبرير بأعمال الناموس، رفضوا المعنى الحقيقي للمجيء الأول للمسيح. وهم ليس عندهم أخباراً سارة ليقدموها لأي شخص، لأنهم لم يؤمنوا أن المسيح قد حقق ملكوت الله، أو العالم الآتي، بأي معنى جدي. وهنا أيضاً فهم بولس أن أساس المشكلة في غلاطية كانت أن المعلمين الكذبة لم يتحققوا بالأمر الأخيرة الحقيقية. فالإنجيل المسيحي هو الإعلان أن المسيح قد حقق حقاً ملكوت الله على الأرض؛ وابتدأ العالم الآتي.

الناموس

أما الناحية الثالثة التي أثرت فيها عقيدة الأمور الأخيرة عند بولس على رسالته إلى أهل غلاطية كانت تقييمه للشريعة الموسوية. فقد تطرق بولس إلى موضوع الشريعة عدة مرات في رسالته، لكنه في الإصحاح الثالث تناول بوضوح القصد من الشريعة بعلاقته بهذا العالم والعالم الآتي.

وقد سبق ورأينا أن نيل بركات الله بالإيمان ليس عقيدة جديدة أتت بها بولس إلى تبشير الأمم. فالإيمان كان دائماً الطريق إلى الخلاص في كل الكتاب المقدس. لكن تشديد بولس على الإيمان طرح سؤالاً جدياً: إن كانت بركات الله لليهود والأمم قد أتت دائماً عن طريق الإيمان وحده، فما هو القصد إذاً من ناموس موسى؟ لماذا أعطى الله الناموس الموسوي لإسرائيل؟ أجاب بولس على هذه الأسئلة في ٣: ١٩:

فَلِمَاذَا النَّامُوسُ قَدْ زِيدَ بِسَبَبِ التَّعَدِّيَاتِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ النَّسْلُ. (غلاطية ٣: ١٩)

لاحظ كيف يشير بولس إلى ذلك. أعطى الناموس بسبب التعديات، وإلى أن يأتي النسل. وللوهلة الأولى، يبدو كما لو أن بولس تجاهل القيمة الأدبية التي لشريعة موسى، حاصراً إياها في عالم ما قبل مجيء المسيح. لكن عدة مقاطع في غلاطية تُبين أن الوضع لم يكن كذلك. في غلاطية ٥: ١٤ يقتبس بولس من سفر اللاويين ١٩: ١٨ من العهد القديم ليشرح لماذا يجب على المؤمنين أن يسعوا وراء المحبة.

لَأَنَّ كُلَّ النَّامُوسِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يُكْمَلُ تَحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. (غلاطية ٥: ١٤)

إشارة أخرى إلى الشريعة تظهر في غلاطية ٥: ٢٢-٢٣:

وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلَامٌ طَوْلٌ أَنَاةٌ لُطْفٌ صَلَاحٌ إِيمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ.
ضِدَّ أَمْثَالِ هَذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ. (غلاطية ٥: ٢٢-٢٣)

لكن إن لم يكن بولس يُعَلِّمُ المسيحيين أن يلقوا جانباً شريعة موسى، فلماذا كتب إذاً في غلاطية ٣: ١٩ أن الناموس أعطي "بسبب التعدييات" وأنه سيبقى فعالاً إلى أن يأتي النسل؟ للإجابة على هذا السؤال يساعدنا أن نتذكر أن المشكلة في غلاطية هي أن المعلمين الكذبة ظنوا أن الشريعة كانت أفضل مما هي في الواقع: فقد اعتبروا أن الطاعة للشريعة هي طريقة نيلهم خلاص الله. لكن بولس علّم أن الله يبارك شعبه دائماً عن طريق الإيمان. لذلك قال في ٣: ١٩: "النَّامُوسُ؟ قَدْ زِيدَ بِسَبَبِ التَّعَدِّيَّاتِ".

فلم يكن الغرض من الشريعة أن تعطي شعب الله خلاصاً أو لتمكنهم من عيش حياة بارة، بل لكي تكشف خطيتهم.

وقد كان هذا دور الشريعة الهام في خطة الله إلى أن يأتي النسل أي إلى وقت مجيء المسيح. فقد أعطيت شريعة موسى لتدين الرجال والنساء على خطاياهم. لكن سلطان الشريعة على الدينونة كان وقتياً فقط.

أما الآن وقد جاء المسيح، فقد أسس عالماً جديداً. والمؤمنون من خلال اتحادهم بالمسيح يدخلون إلى هذا العالم الجديد الآتي. وفي هذا العالم الجديد، أُغِي سلطان الشريعة للدينونة، وتحرّر أتباع المسيح الحقيقيون من دينونة الشريعة.

الاتحاد بالمسيح

أما الناحية الرابعة التي اعتمد بولس من خلالها على موقفه الرئيسي في عقيدة الأمور الأخيرة كانت عن طريق تركيزه على اتحاد المؤمنين بالمسيح. فالمعلمون الكذبة في غلاطية شجّعوا الغلاطيين على التفكير بخلصهم بصورة فردية. فتركيزهم على الختان وعلى شروط الشريعة الموسوية قد حوّلت الخلاص إلى محاولة فردية لعيش حياة التقوى، وضمنياً لنيل التبرير عن طريق طاعة الشريعة.

لكن بولس شدّد أنه ليس التبرير ولا حياة البر يمكن اكتسابهما بهذه الطريقة. في غلاطية ٣: ٢٦-٢٩ يشير بولس إلى ذلك كما يلي:

لَأَنَّكُمْ جَمِيعاً أَبْنَاءُ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ. لِأَنَّ كُلَّكُمْ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبَسْتُمْ الْمَسِيحَ لَيْسَ يَهُودِيٍّ وَلَا يُونَانِيٍّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلَا حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى

لَأَنْتُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ، فَأَنْتُمْ إِذَا نَسَلُ إِبْرَاهِيمَ
وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةً. (غلاطية ٣: ٢٦-٢٩)

وقد علّم المعلمون الكذبة أن كل إنسان يقوم أو يسقط أمام الله بحسب استحقاقه الشخصي. لكنهم كانوا مخطئين. فالحقيقة هي أننا لبسنا المسيح وصرنا في المسيح يسوع. ينظر الله إلى المسيحيين كما لو أنهم المسيح نفسه. وحيث أن المسيح بار، فإن الله يرانا أبراراً وقديسين. مرة أخرى فإن وجهة نظر بولس تتبع من علمه بالآخرة. فقد علم بولس أن الانتقال من عالم الدينونة هذا إلى عالم البركة القادم يتم من خلال حياة، موت وقيامه المسيح. فالمسيح من خلال طاعته للشريعة، تمّ متطلبات الشريعة نيابة عن المؤمنين، محتملاً لعنات الشريعة نيابة عنهم. فقد تمّ المسيح مطلب الشريعة بمعاقبة الخطية بالموت. ومن خلال قيامته من بين الأموات نيابة عن المؤمنين، نال المسيح والذين مات عنهم تبرير الله باعتبارهم مستحقين المجد. ونتيجة لذلك، عندما يتحد المؤمنون بالمسيح بالإيمان، يُنظر إليهم الله كما وكأنهم قاموا معه إلى حياة العالم الجديد الآتي. والسير وراء معلمي غلاطية الكذبة كان بمثابة رفض لدور المسيح الرئيسي كوريث لوعده إبراهيم وبالتالي يتطلب من كل فرد أن يسعى وراء بركة حياة التقوى من خلال مجهوده البشري الشخصي. لكن بولس رأى في المسيح نسل إبراهيم الذي من خلاله تأتي كل بركات الخلاص.

الروح القدس

أما الناحية الخامسة التي أثرت فيها عقيدة الأمور الأخيرة عند بولس على رسالته إلى أهل غلاطية كانت بحثه على دور الروح القدس في حياة المسيحي. ويمكن ملاحظة تشديده على دور الروح القدس في وصفه الأول للتعليم الكاذب في غلاطية. اصغوا إلى ما كتبه في غلاطية ٣: ١-٣:

أَيُّهَا الْغَلَاتِيِّينَ الْأَغْبِيَاءُ مَنْ رَفَاكُمْ... أُرِيدُ أَنْ أَعَلِّمَ مِنْكُمْ هَذَا فَقَطُّ أَبَاعْمَالِ
النَّامُوسِ أَخَذْتُمْ الرُّوحَ أَمْ بِخَبَرِ الْإِيمَانِ أَهَكَذَا أَنْتُمْ أَغْبِيَاءُ. (غلاطية ٣: ١-٣)

أحد الأمكنة التي لفت فيها بولس النظر إلى التباين بين عمل الروح القدس والجهد البشري هو غلاطية ٥: ١٦-٢٦.

في غلاطية ٥: ١٩-٢١ يشير بولس إلى أعمال الجسد ومن ضمنها: "زِنَى عَهَارَةٍ نَجَاسَةٍ دَعَارَةٍ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ سِحْرٍ عَدَاوَةٍ حِصَامٍ غَيْرَةٍ سَخَطٍ تَحَرُّبٍ شِقَاقٍ بِدْعَةٍ حَسَدٍ قَتْلِ سُكْرٍ بَطْرٍ". لكن في غلاطية ٥: ٢٢-٢٣ يشير إلى ثمر الروح القدس الذي هو: "مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلَامٌ، طَوْلٌ أَنَاةٌ لُطْفٌ صَلَاحٌ، إِيمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ".

فقد أراد المعلمون الكذبة أن يؤمن الناس بأنه عن طريق المجهود البشري الجسدي، يمكنهم نيل قوة ليعيشوا حياة التقوى. لكن كما بين بولس هنا فإن الشيء الوحيد الذي يمكن أن يقود إليه المجهود البشري هو الخطية. في يوثيل ٢: ٢٨ نجد أن الله سيسكب روحه بطرق لم يعهداها العهد القديم من قبل.

وَيَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ فَيَتَّبِعُ بَنُوكُمْ وَيَنَاتِكُمْ وَيَحْلُمُ
شُيُوكُمْ أَحْلَامًا وَيَرَى شَبَابِكُمْ رُؤَى. (يوثيل 2: 28)

فالروح القدس كان حاضراً مع المؤمنين حتى قبل مجيء المسيح، وقد قواهم ليبقوا آمناء لله. لكن في ذلك الوقت كانت مواهبه الخاصة وملؤه الأعظم محفوظة، ما عدا بعض الاستثناءات، بعدد محدود من الناس كالأنبياء والكهنة والملوك. لكن يوثيل تنبأ أنه في العالم الآتي سينسكب الروح القدس على كل طبقات وفئات المؤمنين. وكما نتعلم من أعمال الرسل 2 فإن نبوة يوثيل بدأت تتحقق يوم الخمسين.

علم المعلمون الكذبة الغلاطيين أن يعتمدوا على مجهودهم البشري في عيشهم حياة التقوى، وهم بذلك أنكروا هبة الروح القدس الفيضة وقوته في حقبة العهد الجديد. وفي رده ذكر بولس الغلاطيين أن الذين ينتمون إلى المسيح قد سبق ونالوا الروح القدس في ملء قوته. عندما يعتمد أتباع المسيح على قوة الروح القدس، فهو يتحرك فيهم لينتج ثمر البر.

الخليقة الجديدة

أما الناحية الأخيرة التي نرى فيها اعتماد بولس الوثيق على عقيدة الأيام الأخيرة فهو استشهاده بفكرة الخليقة الجديدة. اصغوا كيف يشير بولس إلى ذلك في غلاطية 6: 15-16:

لأنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَيْسَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئاً وَلَا الْغُرْلَةُ بَلِ الْخَلِيقَةُ الْجَدِيدَةُ. فَكُلُّ الَّذِينَ يَسَلُكُونَ بِحَسَبِ هَذَا الْقَانُونِ عَلَيْهِمْ سَلَامٌ وَرَحْمَةٌ وَعَلَى إِسْرَائِيلِ اللَّهِ.
(غلاطية 6: 15-16)

من وجهة نظر بولس، كان خصومه يبالبغون في تشديدهم على الختان لأنه بمجيء المسيح لم يعد يهم إن كان الشخص مختوناً أم لا. فالمهم هو أن يكون ذلك الشخص جزءاً من "الخليقة الجديدة".

كما تذكرون أن إحدى الطرق التي من خلالها آمن بولس بأن "الإسختون" أو نهاية الأزمنة قد تمت بالمجيء الأول للمسيح فقد اعتبر بولس أن المسيح بدأ بتجديد الكون بشكل كامل في خليقة جديدة.

وبدل العودة من جديد إلى أساليب الحياة ما قبل مجيء المسيح، فحياة الخليقة الجديدة يجب أن تكون الاهتمام الرئيسي لكل مؤمن. الاهتمام الرئيسي عند كل تلميذ للمسيح هو الحياة في الخليقة الجديدة. وهو يعتبر الذين اتخذوا هذا الخيار هم حقاً "إسرائيل الله".

الخاتمة

رأينا في هذا الدرس كيف تعامل بولس مع المشاكل التي نشأت في كنائس غلاطية. وقد درسنا خلفية المعلمين الكذبة، ومحتوى رسالة بولس، ورأينا أخيراً كيف اعتمد بولس على عقيدته الرئيسية في الأمور الأخيرة.

بينما نتأمل في ردّ بولس على أهل غلاطية، لا نرى فقط كيف ساعدتهم على حل مشاكلهم الخطيرة جداً. لكنه يتحدث إلينا نحن أيضاً اليوم. ننسى كم كان أثر التغيير الذي جلبه المسيح إلى التاريخ البشري بمجيئه الأول. ونحن مثل الغلاطيين كثيراً ما نسقط في فخ خيبات الأمل والإحباط

كما لو أن يسوع لم ينجز سوى القليل. لكن أعماق الفكر اللاهوتي عند بولس يتحدث إلينا اليوم كما تحدث إلى الغلاطيين في الماضي. فالمسيح قد نقلنا من هذا العالم الشرير لكي نعيش بركات العالم الآتي. فالمسيح قد أتى بالخلاص إلى العالم وقد وهبنا امتياز اختبار هذا الخلاص، حتى في أيامنا هذه.